مجلة جامعة الزيتونة الدولية للنشر العلمي
Zaytoonah University International
Journal for Scientific Publishing
Issue N.32-Vol.1 / ISSN:2958-8537

العدد الثاني والثلاثون (32)، المجلد الأول
تاريخ 30 – 3 – 2025
(ص108 لـ ص134)

تجدُّد جدلية الصراع بين العلم والدين وتأثيراته على العقل والفكر المعاصر

Renewing the Dialectic of Conflict between Science and Religion and its Effects on the Mind and Contemporary Thought.

د. الزين مصطفى عبد المقيت محمد
Almuqit Mohamed Dr. Alzain Mustafa Abd
أ. مساعد -أستاذ العقيدة والأديان جامعة بحري كلية العلوم الإنسانية-السودان.
alzainmageet1983@gmail.com

مستخلص:
تحاول هذه الدراسة أن تضع تمييزاً واضحاً لمفهوم الدين الذي يلتبس لدى الكثيرين عند إطلاقه ويختلف في حقيقته ومصدره. كذلك أيضاً تحاول أن تحدّد مجال اختصاص الدين وميدانه، ومجال العلم الطبيعي وميدانه، ليتأتى لنا الخروج بنتيجة توضّح علاقة الدين بالعلم والعقل بناءً على تحديد ماهيتهما ومجالهما.
وتكشف الدراسة من خلال تناول نماذج ومسلمات علمية طبيعية وقياسها على بعض النصوص الدينية من التوراة والقرآن للنظر في ما تحدده ماهية هذه العلاقة بين العلم والدين، سواءً كانت العلاقة إيجاباً أم سلباً بحسب تلك المسلمات والنصوص، فبعض هذه الموضوعات المقارنة تبين وجه الصلة بين العلم الصحيح والدين الإسلامي من جهة، وبينه وبين اليهودية والنصرانية من جهة أخرى.
أيضاً تتحدّد من خلال الدراسة العلاقة بين الدين الإسلامي والعقل بوصفه أداة للعلم والفهم، فتظهر أهميته وضرورته، وموقعه من الدين الإسلامي، وعلاقته بالتشريع.
إضافة إلى ما تقدّم فإن هذه الدراسة تبرز الآثار المترتبة على مسألة تعارض العلم والدين، من خلال بيان مدى تأثير هذه القضية على العقل والفكر العربي المعاصر.
فقد صاحبت النهضة العلمية الكبرى في تاريخ البشرية تطورات في الفكر الإنساني الغربي، وبخاصة في أوروبا، سيما وأن الفكر الغربي كان محاطاً بظروف استثنائية شكلت في مجملها أسباباً لهذه التطورات والتيارات الفكرية في

البيئة الغربية، والتي كان لها موقفها فيما بعد من الدين عموماً بلا تمييز، وقد كان لهذه التطورات التي شهدتها أوروبا آثارها وإسقاطاتها على العقل والفكر الإنساني المعاصر تمثلت في محاولة عزل الفكر والعقل ونتاجه (العلم) عن الدين، وذلك باستحداث قطيعة بين العلم والدين، وتصويرهما على طرفي نقيض، فانسحب هذا التصور إلى عقول الكثيرين ممن انتهجوا هذا النهج في العالم الإسلامي، وتأثرت جموع في عالمنا الإسلامي والعربي بهذا المنتوج الفكري الغربي، وخاصة أصحاب التيارات العلمانية والحداثية، وخلف بعض هذه التيارات والاتجاهات تقف بعض الدوافع والأسباب التي لها الدور الكبير في نشاط هذه التيارات الفكرية للترويج لهذه القضية، الأمر الذي انعكس سلباً على عقول الكثيرين ممن وقعوا تحت هذه التأثيرات.

الكلمات المفتاحية: جدلية، الدين، العلم، العقل، الفكر.

Abstract:

This study attempts to make a clear distinction between the concept of religion, which is confusing to many when it is used and differs in its reality and source. It also attempts to define the field of religion and its domain, as well as the field of natural science and its domain, in order to clarify the relationship between religion and science and reason based on the definition of their nature and domain.

the study reveals through dealing with examples of natural scientific postulates and measuring them against some religious texts from the Qur'an and the Torah to consider what determines the relationship between science and religion, whether the relationship in positive or negative according to these postulates and texts, as some of these comparative topics show the relationship between true science and Islamic religion on the one hand, and between it and Judaism and Christianity on the other hand.

The study also identifies the relationship between the Islamic religion and reason as a tool for science and understanding, examining its importance and necessity, its position in the Islamic religion, and its relationship with legislation.

In addition to the above, this study highlights the implications of the issue of the conflict between science and religion by showing the extent of the impact of this issue on the contemporary Arab mind and thought.

The great scientific renaissance in human history was accompanied by developments in western human thought was aligned with exceptional circumstances that formed its causes for these developments and intellectual currents in the western environment, which later had its position on religion in

general without distinction. These developments in Europe and their effects and projections on the contemporary human mind and thought, represented in the attempt to isolate thought, reason and its product (science) from religion, by creating separation between science and religion, and portraying them on opposite sides, so this perception withdrew to the minds of many who followed this approach in the world.

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة أهم المسائل المتعلقة بقضية جدلية تتجدّد كلما سنحت لها الفرصة، وهي قضية تعارض الدين والعلم، وتظل هذه المسألة عالقة في أذهان الكثيرين من العامة في الغرب، والبعض في العالم الإسلامي، ويحيط بها الكثير من الغموض، ولذلك تكشف هذه الدراسة أهم النقاط المتعلقة بالقضية ابتداءً من تصحيح الأخطاء والتصورات المفاهيمية التي لها كبير الأثر في الترويج لهذه الشبهة، والتي خلفت تأثيرات بل وقناعات عميقة على عقول بعض المثقفين والمفكرين الذين تضج بهم ساحات الفكر والإعلام في عالمنا العربي والإسلامي.

وكذلك تبدو أهمية هذه الدراسة في أنها تخدم – بمعالجتها العلمية لمشكلة التعارض بين العلم والدين – قضية الدفاع عن الدين الإسلامي، وذلك بدفع الشبهات المثارة ضده بعد تعريتها وكشف أسبابها ودوافعها وخطأها العلمي مع بيان مكمن الخطأ، فتحاول الدراسة أن تضع أجوبة لكل ذلك مستندة على الأدلة والبراهين العلمية.

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في تحرير تصور مفهوم الدين وماهيته، والعلم الطبيعي وماهيته وحدوده (مجاله)، واختبار فرض صحة أو خطأ التعميم بوضع الدين بكليته في مقابل العلم والعكس.

أسئلة الدراسة:

1. ما هو المفهوم اللغوي والشرعي للدين، وما هو مفهوم العلم؟
2. ما هو موقف الدين الإسلامي من العلم وما مدى الصلة بينهما؟
3. هل هنالك صراع حقيقي بين الدين والعلم الطبيعي أم أن الصراع متخيل ومتوهم؟
4. هل هنالك تناقض بين ما يطرحه الدين ويقرره من حقائق وبين ما يثبته العلم؟ وإذا وُجِد فمن أين يأتي التناقض بين الحقائق الدينية والعلمية؟

أسباب اختيار الدراسة:

1. تنامي فكرة وجود صراع بين الدين والعلم في العصر الحاضر، الأمر الذي حتَّم على الباحث الوقوف على حقيقة هذا الصراع.
2. محاولة فك الالتباس الحاصل حول مفهوم الدين والعلم من حيث الإطلاق والتقييد.

3. تعالي الأصوات التي تنادي بضرورة الفصل بين الدين والعلم وتصويرهما على طرفي نقيض، مما حدا بالباحث إظهار مدى صحة هذه النداءات وحقيقتها.
4. كشف الدوافع والأبعاد الفكرية التي ينطلق منها كلا الفريقين في رؤاهما تجاه هذه القضية.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال وصف الظاهرة موضع الدراسة وتحليلها واتباع اسلوبي الاستنباط والاستقراء.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية هذه الدراسة من خلال ما يلي:

1- أنها توضح المفاهيم المهمة الملتبسة على الكثيرين بسبب إجمال لفظ الدين، فتصحح هذه الدراسة المفاهيم لاطلاقها بدقة ووضعها في موضعها الصحيح، ومن ثم فك الارتباط بينها عند الاطلاق.

2- تبرز الدراسة مكانة العلم عموماً والطبيعي خصوصاً في الدين الإسلامي منذ بدايته، مقارنة بمكانته في العصر المسيحي الوسيط، وكذلك مكانة العقل في الإسلام.

3- توصيف العلاقة بين الدين بمفهومه الصحيح والعكس من جانب، وبين العلم والعقل من الجانب الآخر، إذ أن الأديان ليست على درجة واحدة من الموثوقية وصدق البرهان العلمي، سواء كان برهاناً شرعياً أو مادياً.

4- تكشف الدراسة عن التوجيه الصحيح للحقيقة العلمية من حيث ثبوتها وصدقها أو بطلانها، وكذلك نقد الدليل الشرعي الذي يقررها أو يعارضها من حيث صدقه وثبوته أو ضعفه وبطلانه.

أهداف الدراسة:

1. بيان مفهوم الدين وكشف الحقيقة المستترة حول إطلاق هذا المفهوم.
2. تجلية موقف الدين من العلم وبيان الصلة والعلاقة بينهما.
3. إظهار حقيقة الصراع والنزاع بين الدين والعلم الطبيعي.
4. تجلية موقف الدين الإسلامي من العلم عموماً والطبيعي على وجه الخصوص.
5. الوقوف على حقيقة التناقض بين الدين الإسلامي، وبين نتائج ومخرجات العلم الطبيعي.
6. كشف التأثيرات والدوافع التي تقف خلف قضية التعارض بين الدين والعلم.

هيكل الدراسة: يتضمن هذا الهيكل الإطار النظري للدراسة، وخمسة مباحث، وخاتمة تتضمن النتائج والتوصيات، وتقسيمه كما يلي:

المبحث الأول: مصطلحات الدراسة: جدلية، الدين، العلم، العقل، والفكر.

المبحث الثاني: موقف الدين من العلم والعقل والصلة بينهما.

المبحث الثالث: حقيقة الصراع والتعارض بين العلم والدين والعقل وأسبابها.

المبحث الرابع: تأثير فكرة الصراع بين العلم والدين على العقل والفكر المعاصر.

الخاتمة: وتتضمن النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:

مصطلحات الدراسة: جدلية، الدين، العلم، العقل، والفكر:

1-الجدل في أصله هو اللجاج في الخصومة(1)، ومنه جدلت الحبل إذا شددت فتله(2). والجدل نوع من أنواع الحوار يغلب عليه النزاع والخصومة والمغالبة. والمجادلة هي تعارض يجري بين متنازعين فصاعدا إما لتحقيق حق ، أو تغليب ظن ، أو إبطال باطل(3) .

أما الجدل في الإطلاق العصري فتتعدّد مقاصد دلالاته ومضامينه على النحو التالي:

1- الجدل هو طريقة الفكر الذي يعرف ذاته، و يعبر عن موقفه بتأليف حكم مركب جامع بين الأحكام المتناقضة.

2- الجدل هو طريقة الفكر الذي يوجه حركته الى وجهات متعارضة تؤثر فيه تأثيرا متقابلا يفضي في النهاية الى تقدمه، كجدل الحدس و القياس، و الحب و الواجب، و العبد و السيد.

3- الجدل هو موقف الفكر الذي يقرر أن حكمه على الأشياء لا يمكن أن يكون نهائيا، و ان هناك بابا مفتوحا لإعادة النظر فيها دائما.(4). وهي فلسفة الحداثة المبنية على فكرة أن الحقيقة النهائية لا يمكن الوصول إليها بشكل قطعي ومطلق.

والخلاصة: أن **مصطلح جدلية** يعني أنها كلمة منسوبة إلى الجدل، وهو الحوار والمناقشة. وقضية جدلية: أي قضية تثير خلافاً أو جدلاً عاماً يتجدّد كلما سنحت له الفرصة.

2- مفهوم الدين:

أولاً: تعريف الدين في اللغة:

الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل(5).

---

(1) التهانوي، محمد علي (1996م). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت. 935/1

(2) ابن منظور. محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر. بيروت. لبنان. 103/11

(3) السيوطي، جلال الدين (2004م). معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. مكتبة الآداب. القاهرة. مصر. ط1. ص76.

(4) جميل صليبا (1982).القاموس الفلسفي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان. ج1. ص394.

(5) ابن فارس (1979م). مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت. 319/2.

ومفهوم الدين في اللغة هو مفهوم ذو دلالات عديدة، فبالنظر إلى استعمالات كلمة (دين) في المعاجم اللغوية نجد أنها تأتي لتدل على مجموعة من المعاني أهمها[6]:

1. العقيدة والمذهب والعادة والشأن.
2. الحساب والجزاء.
3. الخضوع والطاعة.

ومعلوم أن الكلمة ذات المعاني المتعددة المختلفة في اللغة يصعب معها القطع والحسم في وضع مفهوم واحد ترمي إليه، لكن مع ذلك يمكن المقاربة بين بعض المفاهيم التي يكون التفاوت بينها يسيراً إذا تغيرت صيغتها فتؤول إلى معاني قريبة نسبيّاً والفارق بينها يسير، فنجد أن كلمة الدين تعود في النهاية إلى ثلاث معانٍ تكاد تكون متلازمة كما أشار إليها بعض الباحثين بقوله: فتؤخذ تارة من فعل متعدّ بنفسه، وتارة من فعل متعد باللام، وتارة من فعل متعد بالباء،وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية، فإذا قلنا: (دانه ديناً) عنينا بذلك أنه ملكه، وحكمه، وساسه، وقهره، ودبره، وحاسبه[7].

وإذا قلنا: (دان له) أردنا أنه أطاعه وخضع له، فالدين هنا الخضوع والطاعة والعبادة، وواضح أن هذا المعنى الثاني ملازم للأول (دانه فدان له) أي قهره على الطاعة فخضع وأطاع. وإذا قلنا: (دان بالشيء) كان المعنى اتخذه ديناً ومذهباً أي اعتقده، فالدين على هذا هو المذهب والطريقة والعقيدة[8]. وواضح أن هذا الاستعمال الثالث تابع أيضاً للاستعمالين قبله، لأن العقيدة التي يدان بها لها من السلطان على صاحبها ما يجعله ينقاد لها ، ويلتزم اتباعها[9].

مما سبق نجد أن إطلاق اسم الدين مجرّداً هو في حقيقته إطلاق مجمل يحتاج إلى بيان وتفصيل، ذلك لأن كلمة (الدين) حسب دلالتها في اللغة تندرج تحتها أنواع وأقسام الأديان على اختلافها بين دين صحيح ودين مختلط وآخرباطل، فالإطلاق المجرد في اللغة فيه شمول لهذه الأقسام جميعاً، إذ يعني الإطلاق للاسم كل ما يدين به الإنسان أيّاً كان نوع هذا الدين، ونحن إذ نناقش قضية تعارض العلم والدين ينبغي أن نحدّد طرفي القضية تحديداً دقيقا حتى يتسنى لنا قياس مدى التطابق والتقارب والتباعد بينهما في هذه القضية.

---

(6) الرازي، محمد بن أبي بكر (1995م). مختار الصحاح، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت. ص218. و انظر محمد رواس(1988م). معجم لغة الفقهاء. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2. ص211.

(7) دراز، محمد عبد الله، الدين (بحوث ممهدة لدراسة الأديان). دار القلم، الكويت، ص30.

(8) دراز، الدين. مرجع سابق، ص31.

(9) انظر طه الهاشمي(1963م). تاريخ الأديان وفلسفتها، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص30. و دراز. الدين. مرجع سابق ص31.

Issue N.32- Vol.1 / ISSN:2958-8537

وقد باتت مسألة تعريف الدين من المسائل الخطيرة التي تحتاج إلى بيان وتفصيل لإزالة اللبس والخلط في الإطلاق، فقد ترتبت على هذه المســـألة آثار ســـلبية في ظل ما يدعو إليه العالم من وحدة الأديان، والأديان الإبراهيمية، وحوار الأديان، إلى غير ذلك من إرساء قوانين دولية تحاول أن تصبغ جميع الأديان بصبغة واحدة.

ثانياً: تعريف الدين في الاصطلاح:

1.الدين في الاصطلاح الفلسفي الغربي، والفكر الغربي المسيحي:

يختلف مفهوم الدين لدى غير المسلمين عمّا هو في الاصطلاح الإسلامي، ذلك لأنهم يدخلون ما كان منشؤه الشعور والوجدان المفضي إلى الخوف والتعظيم والتقديس في مسمى الدين، وبعضهم يريد به الأنظمة والسيطرة والتقاليد الموروثة، ويقصد به آخرون العبادة والطقوس، في حين أن بعضهم يقصر المفهوم على اعتقاد الإنسان في الماورائيات (الغيب)، والغيب بحسب جميع التعريفات الفلسفية الغربية التي تناولت الدين من جميع الزوايا لا يحرك ساكناً، بل الإنسان هو من يتطلع إلى الاتصال به عن طريق شعوره الباعث للتقديس. ولذلك نجد معظم الباحثين والفلاسفة الغربيين في تعريفهم للدين يجعلونه ظاهرة اجتماعية بشرية فرضتها ظروف نفسية أو وجدانية أو شعورية ..إلخ. وهذا بطبيعة الحال يجعل منشأ الدين ومصدره أرضياً بشريّاً يتوجه إلى البحث عن قوة يتصل بها يعبّر عن خضوعه أو حبه لها بطرق مختلفة تظهر في أنماط مختلفة سواء كانت طقوس أو رموز أو رسوم إلى غير ذلك.

2.تعريف الدين في الفكر المسيحي:

كما ورد في الإنجيل دان يدين، دين ودينونة: تطلق على حكم الله على الناس بحسب أعمالهم. وقد اختص يسوع المسيح بصفة الدينونة، فهو الديّان الذي يحاسب جميع البشر عن أعمالهم في الجسد خيراً كانت أم شراً، وهذه الدينونة عامة وشاملة، وحكم هذه الدينونة نهائي، ولا يقبل النقض والاستئناف. وطبقاً لهذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت المسيح ومسراتها، ويحشر الأشرار إلى الظلمة الخارجية واليأس الأبدي[10].

لقد اقتصرت الأبحاث الغربية في الأديان على دراسة الآثار التي يتركها الدين على المستوى الفردي والجماعي، وهذا القصور في تعريف الدين عندهم يرجع إلى دراستهم للدين بربطه بالأهداف التي يحققها سواء على المستوى الفردي والجماعي، فبرزت آراء فلسفية عديدة تنظر إلى أثر الدين والمنفعة التي يسعى إلى تحقيقها فقط وليس إلى ماهيته وطبيعته، وبهذا فقد عجزت أبحاثهم عن ملامسة طبيعة الدين وجوهره.

ومن يتأمل التعريفات السابقة للدين سواء من زاوية التعريف المسيحي للدين، أو تلك التي أتى بها الفلاسفة الغربيون، ومع اختلافها وتباينها فإنها كانت تتخذ من المسيحية نموذجاً للحديث سواء ما جاءت في صورة مدح للدين أو انتقاص من شأنه، لذلك لا تعدو أن تكون ضمن المعنى المسيحي للدين، ولا يجد بعض باحثيهم حرجاً من الاعتراف بذلك إذ يقول: (إن الغربيين ميالون بطبعهم إلى الحكم على جميع الأديان بحسب النموذج الذي اعتادوا على استعماله، وهو النموذج المسيحي)[11].

---

(10)قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (1995م). دار الثقافة، القاهرة. ص382.

(11)ماكسيم رودنسون (1993م)،الإسلام السياسي والمعتقد، مكتبة أرثيم فايارد، ص30.

Issue N.32- Vol.1 / ISSN:2958-8537

ويصف بعض الباحثين الغربيين الكبار هذه النظرة الضيقة والمتعصبة لدى الغربيين تجاه الدين بقوله: (يراد بالدين عندما يتكلم في بلادنا الغربية عن العلم والدين، اليهودية والمسيحية فحسب، دون أن يكون للإسلام فيه نصيب، لأنه قد حكم عليه بكثير من الأحكام المفتراة المستندة إلى مفاهيم مضللة)[12].

ولعل هذا التصور لمفهوم الدين لدى النُّقّاد الغربيين واقتصارهم على الدين المسيحي وانكفائهم عليه والترفُّع والمكابرة على الانفتاح على الإسلام، هو الذي حجب عن أعينهم رؤية الحلول لكثير من المسائل والمشكلات التي يحمل الإسلام لها حلّاً ناجعاً.

3.الدين في الاصطلاح الإسلامي:

أشهر تعريف للدين في الفكر الإسلامي ما جاء في كشاف اصطلاحات الفنون بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إياه إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل، وهذا يشمل العقائد والأعمال، ويُطلق على ملة كل نبي، وقد يخص بالإسلام[13].

ومن تعريفاته المشهورة: أنه وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات[14].

ويُضاف إلى الله تعالى لصدوره عنه، وإلى النبي صلى الله عليه وسلم لظهوره منه، وإلى الأمة لتدينهم وانقيادهم، ويجيء في ما يتعلق بذلك في لفظ الملة وفي لفظ الشرع[15].

والناظر من أول وهلة إلى التعريف الاصطلاحي الإسلامي للدين يجد أن فيه تفريق بين الدين الصحيح والدين الباطل الفاسد، فمعنى (وضع إلهي) لا نكاد نجدها صريحة في التعريفات السابقة قبله في الفكرين المسيحي والفلسفي الغربيين، مما يعني أن الاصطلاح الإسلامي يحصر الدين في دائرة الأديان الصحيحة المستندة إلى الوحي الإلهي، والتي تتخذ إلهاً ومعبوداً واحداً هو الله تعالى، فالديانة الطبيعية التي تستند إلى العقل، والديانات الخرافية التي نتجت عن الأوهام والأساطير، والديانات الوثنية التي تتخذ من التماثيل آلهة، وكذلك الديانات الكهنوتية التي تجعل من رجال الدين مصدر تشريع وأحكام على أفعال العباد، كل هذه لا ينطبق عليها تعريف الدين في الاصطلاح الإسلامي، فالإشكال ليس في تسمية هذه الأديان ديناً مجرداً يدين به أصحابه، فقد سماها القرآن كذلك (دين)، ولكن اللبس والإشكال في هل هو الدين بمسماه الشرعي الحقيقي الذي يربط الإنسان بالله بوحي منه؛ فيعوّل عليه باعتباره وحي الله للبشر أم أنه غير ذلك، وهذا هو الفارق في المعنى الاصطلاحي للدين بين التعريف الإسلامي وغيره من الاصطلاحات والتعريفات الأخرى.

---

(12)بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقران والعلم، ص139.

(13)التهانوي، محمد بن علي (1996م). كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 814/1.

(14)دراز، محمد عبد الله، الدين، ص33.

(15) دراز.مرجع سابق، ص34.

3- تعريف العلم:

العلم في اللغة: نقيض الجهل، علم علماً وعلم هو نفسـه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعا.(16).

والعلم: صفة من صفات الله عز وجل العليم والعالم والعلّام(17).

وإلحاقاً لما سبق من التعريف اللغوي للعلم كمفهوم فهو كلمة فضفاضة، شأنه في ذلك شأن جميع المفاهيم التي تشترك في الاطلاق اللغوي وتختلف في غايتها وثمرتها، فله إطلاق عام وخاص، وعليه فالعلوم تتنوع وتتعدد تبعاً لتنوع مباحثها وأغراضها، ولذلك نجد أن العلوم ليست كلها على درجة واحدة، فهنالك علوم مفيدة ونافعة، وهنالك علوم الجهل بها لا يضر، وأخرى فاسدة مثل علم السحر وغيره.

العلم اصطلاحاً: هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع، وقال الحكماء: هو حصول صورة الشيء في العقل، والأول أخص من الثاني، وقيل: العلم هو إدراك الشيء على ما هو به(18).

وقيل: هو كل ما يصل إليه الإنسان من معارف على وجه الحقيقة(19).

وهو أيضاً الإدراك المطابق للواقع ولا يُلاحظ فيه اليقين الشخصي للعالِم، بل الركيزة الأساسية في هذا المعنى هي المطابقة للواقع، فإذا كان الإدراك مطابقاً للواقع العيني فهو "علم" وإلا يُعدُّ جهلاً، وإن كان المدرك على يقينٍ جازمٍ منه. والعلم بهذا المعنى العام يشمل جميع العلوم التجريبية والعلوم الدينية والإنسانية والمعارف الكشفية وغيرها من العلوم البشرية(20).

4- تعريف العقل:

العين والقاف واللام أصل واحد منقاس مطرد، يدل عظمه على حبسة في الشيء أو ما يقارب الحبسة. من ذلك العقل، وهو الحابس عن ذميم القول والفعل..واعتقل لسان فلان إذا احتبس عن الكلام(21).

والعقل اصطلاحاً: هو مركز الفكر والحكم والفهم والمخيلة، وبه يكون التفكير والاستدلال عن طريق الحواس، فيتميز الإنسان عن الحيوان بالعقل(22).

---

(16)لسان العرب، ابن منظور،محمد بن مكرم (1414هـ). دار صادر، بيروت. ط3. 417/12.

(17)المصدر السابق، 416/12.

(18) الجرجاني، التعريفات، ص155. والمناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، ص246. والسنيكي، الحدود الأنيقة ص66.

(19)عبد الآخر، أحمد أبو الوفا. (1997م.) تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 4/1.

(20) مصطفى عزيزي (2019)، العلم والدين، مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية، كربلاء، العراق، ط1، ص22.

(21) ابن فارس. معجم مقاييس اللغة. مرجع سابق. 69/4.

(22) أحمد مختار عمر (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. القاهرة. ط1. ج1. ص1531.

وقيل: هو القوة التي تمكّن الإنسان من التجريد واستنباط المعارف والعلوم(23).

ويمكن للباحث الربط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي بأن العقل يمثل الأداة التي تمكّن صاحبها من ضبط الفكروالفعل والتصرف، فيعقل صاحبه عن السفه والطيش، فهو كعقال الدابة يمنعها عن الفرار والشرود. وقيل: سُمي عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يحبسه(24). ويؤخذ من ذلك أن من فقد هذه الأداة كليّاً أو جزئياً فقد صار إلى ما يضادها من الجنون والسفه والطيش والجهل .. إلى غير ذلك من ما ينافي كمال العقل وتمامه.

5-تعريف الفكر:

في اللغة: الفَكْرُ والفِكْرُ إِعمال الخاطر في الشيء. قال سيبويه: ولا يجمع الفِكْرُ ولا العِلْمُ ولا النظرُ. قال: وقد حكى ابنُ دريد في جمعه أَفكاراً، والفِكْرة كالفِكْر وقد فَكَر في الشيء(25). وبناء على هذا التعريف اللغوي لا يصح إطلاق الفكر إلا في ما يحتاج إلى إمعان النظر والتأمل والتدقيق في محتوى الشيء، وليس في ما اتضح وبان من الأمور (البديهيات)، فإن التدقيق والتأمل فيه يُعد عبثاً.

الفكر اصطلاحاً: هو قوة مُطْرِقة للعلم إلى المعلوم، والتفكر جَوَلان تلك القوة بحسب نظر العقل، وذلك للإنسان دون الحيوان، ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب(26). وقيل: الفكرمقلوب عن الفَرْك لكن يستعمل الفكرفي المعاني وهوفَرْك الأمور وبحثها طلباً للوصول إلى حقيقتها(27). ويمكن أن يقال أن التفكير: هوإعمال العقل في مشكلة للتوصل إلى حلها.

المبحث الثاني: موقف الدين من العلم والعقل والصلة بينهما

مما سلف من تعريف للدين يتضح الفرق بين الدين الحق ومطلق الدين، وتترتب على الإجمال الحاصل من الاطلاق أحكام وآثار ونتائج غير صحيحة، ما لم يتم تفصيل هذا الإطلاق والإجمال، فإذا ما تم هذا الأمر اتضحت قضايا عديدة لها صلتها بالدين وكانت النتيجة في الحكم عليها صحيحة تبعاً لتحديد نوع الدين، منها موقف الدين من العلم، وهنا نعني به تحديداً الدين المسيحي، والدين الإسلامي، ذلك لأن هذه القضية والجدل الدائر في مسائلها العديدة المتصلة بها يخص في المقام الأول الدين المسيحي من حيث بداية القضية وتطورها، ولأن أدلة من يقطعون بوجود التعارض بين العلم والدين ترتكز في حقيقتها لا في إطلاقها على تعريف خاص للدين

---

(23) أحمد مختار. مرجع سابق. ص1532.

(24) ابن منظور، لسان العرب. مصدر سابق. 458/11.

(25) المرجع السابق 65/5.

(26) الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن. دار القلم. دمشق. 202/2.

(27) المرجع السابق. 202/2.

والذي يتشكل في المسيحية المحرفة، وتخص القضية كذلك الدين الإسلامي لموقفه الذي سيتضح من خلال عرضنا لهذه القضــية، ولأن التعميم الحاصــل من الاطلاق لم يســتثني الإســلام، وبناء على ذلك يمكننا تحديد موقف الديانتين (النصرانية والإسلام) من العلم كما يأتي:

أولاً: موقف المسيحية من العلم والفكر:

قبل أن نعرض موقف الديانة النصــرانية من العلم والفكر لابد من الإشــارة إلى أن قضــية الدين والعلم هي من المسائل القديمة التي دار حولها النقاش والسجال، وأكثر الحقب التي احتد حولها الجدل وشهدت فيها هذه القضية تطوراً هي مرحلة الحداثة التي ازدهرت وتطورت فيها العلوم التجريبية في ضوء الاكتشافات الباهرة والمدهشة للعلوم والتقنية، ويحســن بنا أن نشــير بإيجاز إلى هذا الجدل والتطور حول هذه القضــية في لمحة تاريخية لارتباطها بالدين النصراني في أصل منشئها.

لمحة تاريخية عن ظهور قضية الصراع بين العلم والدين وتطورها:

قبل ظهور هذه القضية كانت العلوم الطبيعية في الغرب من ضمن مباحث الفلسفة(28)، ولأن الكنيسة في العصور الوسطى كانت بيدها الهيمنة على جميع شئون الحياة، فقد ساد الجهل والخرافات وتحكم رجال الدين في كل شيء، ومن أبرز الأحداث والحقب التي ظهرت على إثرها مســألة تعارض العلم والدينفي العالم الغربي حوالي ســنة 1616م، عندما احتدم النزاع العلمي الفلكي والديني في أوروبا، حيث أدانت الكنيســة الكاثوليكية نظرية مركزية الشمس وحركة الأرض حولها المسماة بالنظرية (الكوبرنيكية)، والتي تعارض وتناقض النظرية البطلميوسية التي تقول بمحورية الأرض وحركة الشمس حولها(29)، وقد كان (غاليليه) من أشد المناصرين لنظرية (نيكولاس كوبرنيكوس) وقد دافع عنها بشــدة، الأمر الذي جعل الكنيســة تندّد بغاليليه، وعدّت كتاب كوبرنيكوس من الكتب الضالة الممنوعة، فكانت أبرز المعارك بين اللاهوت والعلم في النزاع الفلكي، وكانت الكنيســة قد أعطت حق تفســير الكتاب المقدس لنفسها، ولم تسمح للعلماء أن يبدو رأياً مخالفاً لرأي الكتاب المقدس.

---

(28)الأسمري، حسن بن محمد (1433هـــ - 2012م).النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي في التعامل معها، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة، المملكة العربية السعودية، ط1، ج1، ص9.

(29)برتراند رسل، الدين والعلم، ص14. ترجمة رمسيس عوض. ط1- دار الهلال.

من هذه النقطة بدأت مســألة التعارض بين الدين والعلم تظهر وتشــتد في العالم الغربي، وقد ازداد الأمر شــدة واحتداماً عندما أعلن (تشــارلز داروين)[30] نظرية (تطور الأنواع) في مقابل نظرية (ثبات الأنواع) التي كانت تدافع عنها الديانة النصرانية.

إذاً وقع الصــراع بين الكنيســة والعلم في القرون الوســطى، عندما كانت الكنيســة تعارض العلم بحجة أن مصــدر العلوم الطبيعية التي اتخذت طابعها الخاص في منهج التجربة والملاحظة وأنواع المعارف الأخرى تخالف آراء وأفكار المؤسسة الدينية، أي أنها معادية للدين وفقاً لنصوص الكتاب المقدس، فهو عند الكنيسة المحك لصدق أو كذب هذه الأقوال العلمية.

ومزيداً من تحديد موضوع البحث حول هذه القضية بدقة يشير الباحث إلى أمر مهم وهو أن أصل هذه القضية في بدايته كان محدوداً بعلم معين هو العلم الطبيعي التجريبي، وكذلك بدين محدّد هو الدين النصــراني الكنســي، مما يعني أنه ليســت كل القضــايا أو النظم الدينية وأولها (العقائد والعبادات والأخلاق) ذات صــلة مباشــرة بموضــوع التعارض قبل أن يطرأ التعميم لاحقاً، وإنما السجال ابتداءً كان حول القضايا المتعلقة بالعلوم الطبيعية والفيزيائية في مصــادمتها للنصــوص الدينية، ســواءً من جانب الكنيســة أو العلماء، فخطأ الكنيســة من جانب اعتبار العلم الطبيعي مخالفاً للدين الذي يرونه قطعياً في حقائقه، وخطأ الطرف الآخر في التعميم على مطلق الدين، وباتوا على قناعة بهذا الحكم (التعارض) بناءً على التجارب التي عاشــوها في ظل الرأي الديني الكنســـي وموقفه من العلم والعلماء.

وبعد تجريد هذه المسألة الجدلية يتضــح أن وضــع الدين بكليته في مقابل العلم في البيئة الغربية يعتبر تطوراً مرحلياً وليســت بداية لأصــل المشــكلة، فهو نتيجة طبيعية وأثر جاء كرد فعل لموقف الدين النصــراني الكنســي من العلم التجريبي، فالصــدام المســتمر الذي كان يقع بين الكنيســة والعلماء الطبيعيين وتطوُّر الأســاليب الكنســية في قمع هؤلاء العلماء ومنتوجهم العلمي والفكري، حيث أُنشــئت محاكم التفتيش لقتلهم وتعذيبهم في محاولة لإخماد حركة الفكر والعلم، قاد – هذا الســلوك – إلى ردة عكســية وانقلاب كامل على التصــورات والمفاهيم الدينية لدى الإنســان الغربي تجاه الدين، لا ســيما بعد ظهور صــحة نتائج العلم وفروضــه وحقائقه التي يطرحها، وتعرية زيف الكنيســة التي كانت تصــوّر الفكر الكهنوتي في الغرب بصــورة الدين، مرتكزة في ذلك على نظرية وبدعة (الحق الإلهي) التي تعطي رجل الدين السلطة الدينية التشريعية النيابية عن الله، ولذلك بعد انتصــار العلم على الدين في الغرب انقدح في ذهن الإنســـان الغربي أن الدين أصــبح أمام أحد خيارين: إما أن يظل في وجوده فارغاً من

---

(30) تشــارلز داروين وُلد في شــروزبري بإنجلترا عام 1809م، وهو عالم بريطاني من علماء الأحياء، ذاع صــيته إثر نظرية تطور الفصــائل الحية. هبة محمد. تشارلز داروين- سيرته الذاتية، نظرياته. مقال بموقع أوبستان (18 أبريل 2024م). وانظر كتاب فرانسيس داروين(2017م): تشارليز داروين: حياته وخطاباته. مؤسسة هنداوي- الجزء الأول. ترجمة الزهراء سامي ودينا عذاب. المملكة المتحدة.

المضمون العلمي والعقلي مع القناعة الكاملة أنه عدو العلم والعقل الأول، ولا رابط يربط بينه وبين العلم، فهو لا يعدو كونه شعائر تؤدى وطقوس مجردة، وإما أن يظل وجوده كعدمه، وذلك بالاستغناء عنه بالعلم وإقامة العلم مكانه، وازداد الأمر تطوّراً برسّوخ الاعتقاد المضاد للدين في عمومه، والنظر إليه في مقابل العلم، وفاقم الأمر سوءاً ظهور التيارات المادية والعلمانية المناهضة للدين، والتي تنادي بإقامة الحياة على أسس مادية طبيعية وإقامة العلم مكان الدين في فهم الحقائق وصحة النتائج وتفسيرها، ولو كان الأمر مقتصراً على اعتبار أن ذلك مراداً به الدين الكنسي في تلك البيئة،ووصفه بهذا الوصف المنافي للعلمية لكان اعتقادهم – في كثير من الأحيان – صحيحاً واقعاً وتاريخاً وتجربة في ما ذهبوا إليه، ولكن إطلاق هذه التهم على مسمى الدين في العموم أمر يحتاج إلى تصحيح وبيان، والمتأمل في موقف هذه التيارات وكذلك النظرة السائدة في البيئة الغربية تجاه مفهومهم للدين هو أنهم أصلاً منغلقون على الدين المسيحي فحسب، وكأنه هو الدين الوحيد في الأرض، وعليه فلا نعجب إن رأينا الكثير من الحملات والأفكار التي تهاجم الأديان وترميها بالجهل والبعد عن العقلانية والعلمية وهي لم تخرج بعد من أسوار الكنيسة لتطّلع على رؤية وموقف الأديان الأخرى تجاه القضية المثارة، وبالطبع فإن دعوى تعارض العلم والدين هي إحدى هذه القضايا.

ثانياً: موقف الدين الإسلامي من العلم وأداته (العقل) والصلة بينهما:

عند الحديث عن موقف الدين الإسلامي من العلم والعقل لابد من استصحاب أمرين مهمين ووضعهما في الاعتبار قبل بيان الموقف:

الأول: أنه لم يحدث في تاريخ الدين الإسلامي وإلى يومنا هذا تمييز بين الدين والعلم يجعلهما في معزل عن بعضهما، فالدين أصله علم، وتبرهن على صحة هذه الحقيقة النصوص من القرآن والسنة، وتقف شاهدة على أن مبنى الدين وأساسه، بل كل الدين هو علم، يقول الله تعالى: (ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذاً لمن الظالمين)(31). ويقول تعالى: (وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)(32). ويقول تعالى أيضاً: (فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(33). فهذا المزج الحاصل بين الدين والعلم لدرجة إطلاق القرآن مسمى العلم على الدين يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الدين والعلم سواء.

الثاني: أن هذه الفكرة لم تنبت أصلاً في أرض الإسلام، وإنما بيئتها مختلفة باختلاف الظرف الذي تسبب في وجودها، ثم لم تلبث أن أدخلت وأقحمت في الجو الإسلامي رغم أن المناخ يختلف تمام الاختلاف، والبيئة في

(31) سورة البقرة، الآية 145.

(32) سورة الأعراف، الآية 52.

(33)سورة ال عمران، الآية 61.

العموم ليست بيئتها، شأنها شأن الكثير من القضايا التي تولد في الغرب ثم يلقى بها في الواقع الإسلامي الذي لم يشهد لها مولداً ولا منشئاً، لكن باعتبار خطأ القصد أو قصد الخطأ، جهلاً أو تجاهلاً تنمو وتصبح واحدة من كبرى القضايا التي تثار ضد الدين في العموم من غير تفريق بين دين وآخر، وبالطبع تجد لها مناصرين من داخل عالمنا الإسلامي لاعتبارات كثيرة ليس هذا موضع بسطها.

وههنا حقيقة يحسن بنا الإشارة إليها لكي نضفي مزيداً من التجلية لموقف الدين من العلم، وهي أن العلم المقصود – في الغالب –من خلال نصوص القرآن والسنة عند إطلاقه هو العلم الضروري (علم الدين) في المقام الأول، وسر الاهتمام به واتصاف أهله بهذه الصفات والمقامات يأتي من باب الغاية، والعلم الطبيعي من باب الوسيلة، فالعلم الذي تتحقق به الغاية الكبرى والفوز في الدار الباقية هو الذي تركز عليه النصوص من القرآن والسنة، ولا يعني ذلك التقليل من شأن العلم الطبيعي المرتبط بهذه الحياة وسننها، لكن الأمر لا يعدو كونه تقديم للأهم على المهم، بل إن الإسلام يعتبر العلم الطبيعي والتجريبي هو العلم الكفائي الذي لا يستغني عنه العباد في دنياهم، فتتحقق به المصلحة وتندفع به المفسدة، وبذلك يدخل ضمن أهداف ومقاصد الشريعة الإسلامية. وبالنظر إلى موقف الدين من العلم نجد أن أول ما نزل من الوحي جاءت فاتحته بـــ(اقرأ باسم ربك الذي خلق)، فهذه الآية وغيرها الكثير تدل على أن العلم في المنظور الإسلامي يسبق العمل، وتدل على ذلك أيضاً آية صريحة في القرآن الكريم وهي قوله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات). ويزداد الموقف جلاء إذا علمنا أن الإسلام مبني على العلم، ويبطل الدعاوى التي تقوم على غير برهان ويقلّل من شأن التبعية والتقاليد والظنون والأوهام والأهواء التي تنافي العلم، وقد تعمّق كثير من الباحثين في مقابلة النصوص من التوراة والانجيل والقرآن مع معطيات العلم الحديث وخرجوا بنتائج مذهلة من خلال دراستهم المتأنية لموضوع العلاقة بين الكتب المقدسة وبين العلم الحديث، يقول موريس بوكاي(34):

(لقد كان موقف الإسلام على العموم تجاه العلم مختلفاً. وليس ثمة أوضح من حديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – القائل: "اطلب العلم ولو في الصين" وغيره الذي يعتبر بأن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وسنرى في هذا الجزء من الكتاب أن القران الذي يدعو إلى تطوير العلم، يحوي العديد من النظرات عن أحداث

---

(34) موريس بوكاي، الطبيب والجراح والمستشرق الفرنسي، ولد عام 1920م ببلدة بون ليفاك بفرنسا، درس الطب في جامعة باريس في فرنسا، وصار رئيس قسم الجراحة، ويعتبر من أذكى واشهر الجراحين في فرنسا، يعتبر كتابه (التوراة والإنجيل والقران والعلم) من أهم الكتب التي درست الكتب المقدسة على ضوء المعارف الحديثة، توفي في باريس في 18 فبراير 1998م.
The story of Maurice Bucaille's inspiring conversion to Islam, Mon, 03/18/2013, https://Islam.ru/en.

طبيعية مع تفصيلات موضحة لها تبدو شديدة الاتفاق مع معطيات العلم الحديث، وليس في الوحي اليهودي – المسيحي مثيل لهذا النوع)[35].

وبالنظر إلى الآيات القرآنية التي فيها لفت وحث للإقبال على العلم الطبيعي نجد أن متعلق الآيات (يتفكرون، يعقلون ..إلخ)، مبني على موضوع العلم الطبيعي وهو مظاهر الكون المتعددة من أرض ورواسي وأنهار ونبات وأفلاك وأجسام..إلخ، الأمر الذي يؤكد التناغم بين الدين الإسلامي والعلم الطبيعي والتجريبي الحسي، بل واعتبار الدين العلم الطبيعي جزء لا يتجزأ من الأدلة الحسية التي تعضد صدق الآيات والأدلة الشرعية، لكنه لا يعتبر العلم الطبيعي الحسي طريق ووسيلة لفهم وتفسير الغيبيات وإدراكها، ولا يعتبره كذلك وسيلة لفهم الشرائع والتوحيد إلى غير ذلك من نظم الدين التي لا تدخل في مجال العلم الحسي والطبيعي التجريبي، وهذه النظم خرجت عن مجال العلم الحسي لأن ميدانها هو الغيب غير المحسوس، أو ما يعبّر عنه بعالم الأسرار أو ما فوق الطبيعة (الميتافيزيقيا)، جاء في تاريخ الأديان وفلسفتها: (ويقصد بتعبير ما فوق الطبيعة عالم الأسرار أي العالم الذي لا سبيل إلى فهمه ومعرفته، ولهذا يكون الدين عبارة عن بعض التصورات والملاحظات الخارجة عن نطاق العلم، وبوجه عام الخارجة عن نطاق التفكير)[36].

ومن خلال ما سبق يتضح أن العلوم الحسية والتجريبية ليست محل خلاف عند العقلاء، كما أنها ليست مصدراً مستقلاً نتعرف من خلاله على التعاليم الشرعية والمعرفية الدينية، جاء في شرح مجموع الفتاوى: (العلوم الحسية والتجريبية متفق عليها بين أهل الحق والباطل فلا يكابر فيها أحد، كما أن العلوم الحسية والبدهية ليسا أيضاً طريق إلى الاستدلال بالأمور الشرعية، إنما هي أدلة عاضدة لا يمكن أن تخالف الشرع، فما صار علماً من التجريبيات والحسيات والبدهيات فهو حق، لكن لا يمكن عن طريقه فهم الغيبيات ولا إدراك الغيبيات، ولا يمكن أن يكون عن طريقه أيضاً فهم الشرائع والتوحيد)[37].

ولمزيد من عناية الإسلام بالعلم فقد حث الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على طلب المزيد منه فقال: (وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً)[38]. وتعلي النصوص القرآنية والنبوية من شأن العلم والعلماء، وتخصص درجات الرفعة لمن اتصفوا بصفة العلم دون غيرهم من الناس.

وليست تكفي هذه المساحة في استقصاء النصوص من القرآن والسنة والإحاطة بها جميعاً وإيرادها للوقوف على موقف الدين الإسلامي من العلم، ولكن حاول الباحث الاقتصار على بعضها بما يفي في هذا الشأن.

---

(35) بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقران والعلم، ص144.

(36)الهاشمي، طه، تاريخ الأديان وفلسفتها، مرجع سابق.ص29.

(37) العقل، ناصر بن عبد الكريم، شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية، ج16، http://www.islamweb.net

(38)سورة طه. الآية 114.

موقف الدين من العقل:

إذا ما تأملنا الصلة بين الدين الإسلامي والعقل فأول ما ينقدح في الذهن هو أن الأحكام والشرائع الدينية الإسلامية أو ما يطلق عليه (التكليف وخطاب الشارع) مناطها الأساسي هو العقل، وإذا لم يوجد العقل يرتفع التكليف ويسقط الخطاب، فقد ورد في السنة عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: " رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل"(39).

وتُعتبر الصلة بين العقل والدين من حيث حصول التوافق والتعارض بينهما من القضايا القديمة، حتى عدها بعض الباحثين منشأً لقضية التعارض بين الدين والعلم، أي أن الأخيرة تُعتبر تطوُّراً للقضية الأولى.

المبحث الثالث:

حقيقة الصراع والتعارض بين الدين والعلم والعقل وأسبابه

أولاً: مسألة التعارض بين الدين والعلم:

بالنظر إلى ما تقدم يتبين أن الدين إذا لم يخصّص ويقيد فإنه يعني مطلق الدين، وفي هذه الحال لا يتأتى لنا الحكم والجزم قولاً واحداً بحقيقة أن هذا التعارض هو فعلاً واقعٌ بين الدين والعلم أم لا!، فإذا قصدنا بالدين كل ما يدين به الإنسان بصرف النظر عن كونه حقّاً أم باطلاً، فعند ذلك تتعدّد النتائج حسب قربها من الحقيقة العلمية والعكس، وذلك لأنه ليست كل الأديان في حقيقتها ديناً بالمعنى الصحيح، فقد مضى معنا التفريق بين الدين الصحيح، والدين الباطل، والدين الذي يختلط فيه الحق والباطل، أو بعبارة أخرى الدين السماوي، والدين الوضعي، والدين الذي أصله سماوياً وطرأ عليه التغيير والوضع البشري.

ولذلك متى أسقطنا هذا التعميم تمكنّا من الوصول إلى النتيجة الصحيحة لاختبار فرض ماهية علاقة الدين المعيّن بالعلم، وبالتالي تجريد القضية الأصلية لهذا الجدل وتحديدها لحل الإشكال حولها، وذلك بالبحث عن الدين بمفهومه الصحيح أو غيره بشرط أن يكون محدّداً، ومن ثم قياس نتائج العلم الطبيعي عليه، وتحديداً القضايا المتعلقة بالعلوم الطبيعية والفيزيائية الواردة في النصوص الدينية الصحيحة أو غيرها كلٌّ على حده، أو العكس بأن ننزل النصوص الدينية المشتملة على هذه القضايا العلمية بقياسها على نتائج العلوم الطبيعية والفيزيائية، وحينها يمكن التنبؤ بصحة أو خطأ النتائج، سواء في المقيس أو المقيس عليه، فقد تتفق النتائج أو تختلف، وحين الاختلاف لا

(39)سنن أبي داؤود، سليمان بن الأشعث، باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً، ح رقم 4403، ج4، ص141، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. والحديث أيضاً من رواية عائشة رضي الله عنها ولفظه: (وعن المبتلى حتى يبرأ) وفي رواية: (وعن المجنون) وأخرى: (وعن المعتوه حتى يعقل أو يفيق)، وكذلك هو من رواية أبي قتادة الأنصاري. وصححه الحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في إرواء الغليل، وقال – معلقاً على كلام الحاكم والذهبي: وهو كما قالا، فإن رجاله كلهم ثقات احتج بهم مسلم برواية بعضهم عن بعض، انظر إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، محمد ناصر الدين، 5/2، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1405هـ - 1985م.

تخرج الحقيقة عن أحد أمرين: إما خطأ وبطلان النتيجة العلمية الطبيعية، أو خطأ النقل أو النص وبطلانه، فالدين والعلم كلاهما فيه الصحيح والباطل، أو بعبارة أخرى فيهما الظني والقطعي، وذلك بأحد اعتبارين: إما أن النظرية أو التجربة العلمية الطبيعية فروضها ونتيجتها باطلة، أو أن النقل والنص الديني ظني أو ضعيف – باستثناء النصوص القطعية الدلالة (القرآن كله، وصحيح السنة)– فالسنة كمثال فيها الصحيح والضعيف والسيء الضعف والذي لا أصل له بحسب علم الحديث، أو ربما يكون البطلان من باب خطأ فهم النص، فعند اختيار النص الديني لابد من اعتبار هذه الأمور ووضعها في الحسبان لضمان سلامة النتائج في برهنتها على التطابق أو التعارض.

ولكي تتضح هذه الحقيقة يحتاج الباحث إلى تحديد بعض النقاط كما يلي:

1. تحديد ماهية الدين المقصود بقضية التعارض، ذلك أن هذه القضية كما أسلفنا مدارها على أديان محددة هي اليهودية والنصرانية والإسلام، وسيقتصر الباحث في إيراد بعض النماذج على التوراة والقرآن لاعتبارين:

الأول: أن قضية التعارض بين الدين والعلم دائماً ما تطرح ويتناولها الباحثين والنُّقاد في محيط هذه الأديان الثلاثة، وليس لها صلة بالأديان الأخرى، لاعتبار أن هذه الأديان هي الأديان السماوية التي يعتقد أتباعها عصمتها عن الخطأ والتناقض، بصرف النظر عن نظرة كل منها للأخرى، وما سواها فهي أديان وضعية بشرية شأنها شأن النظريات البشرية من حيث اتفاقها أو معارضتها للعلم الحديث.

الثاني: أن التوراة تمثل مصدراً مهماً لكلا الديانتين (اليهودية والنصرانية)، وبالتالي فهي محل اتفاق وقبول لكليهما، بخلاف الأناجيل التي يعتقد صحتها وعصمتها النصارى دون اليهود.

2. تحديد ماهية العلم المقصود بهذه القضية (التعارض)،وهو العلم الطبيعي التجريبي.

3. تحديد المجال أو الميدان الذي يصلح فيه قياس القضية لكليهما – أي لكل من الدين والعلم.

إذاً فقد تحدّدت ماهية الدين المراد هنا وهو الدين الإسلامي أو(الوحي الإسلامي– القرآن والسنة الصحيحة)، ووحي أهل الكتاب، وهو (الكتاب المقدس)، ومن خلال هذه المقارنة أيضاً يتضح نوع العلم المقصود بموضوع الدراسة وهو العلم الطبيعي أو الحسي التجريبي، ومجاله وميدانه المادة أو الجسم وما يتصل بالحس، ذلك لأن القضية وما يدور حولها من جدل متعلقة أساساً بهذا المجال، وليس لها تعلق بنظم الدين والعلم الأخرى إلا من باب توسيع القضية وتعميمها اللاموضوعي، والذي له دوافع أخرى سيأتي ذكرها.

ولنأخذ على سبيل المثال بعض النماذج والشواهد التي تتفق أو تختلف مع ما يقرره العلم قياساً على نصوص الكتابين القرآن والعهد القديم، باعتبار أن هذين الكتابين من أهم المصادر المقدسة لكل فريق في ما يعتقد صحته ونسبته إلى الله، فالفريق الأول أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين يعتقدون أن العهد القديم (التوراة) – الحالية – هي كلام الله الموحى به إلى موسى عليه السلام، والفريق الثاني هم المسلمون الذين يؤمنون بقطعية وصحة نسبة القرآن إلى الله الذي أنزله وحياً على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى صحيح السنة.

ولمزيد من الوقوف على حقيقة وقوع تعارض بين الدين والعلم يمكننا أن نتناول بعض النماذج والنصوص الدينية وتحليلها من منظور علمي وإسلامي:

نماذج لبعض النصوص الدينية وتحليلها من منظور علمي وإسلامي:

جاء في التوراة:

(في البدء خلق الله السموات والأرض وكانت الأرض خاوية وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله ليكن نور فكان نور ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلام وسمى الله النور نهاراً والظلام ليلاً وكان مساء وكان صباح يوم أول)(40).

ومن يتأمل تحديد التوراة أيام الخلق بالصباح والمساء يدرك أن الكاتب التوراتي يجعلها أياماً كأيامنا هذه حيث تشرق الشمس وتغيب، فالخلاف ليس في تسميتها أياماً، لكن المفارقة في أن الأيام عند الله تختلف عن أيامنا التي نعيشها، وهذه الحقيقة يقررها القرآن في بعض آياته، يقول الله تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)(41).

وقد ذكر أهل التفسير جملة من الأقوال في تفسير هذا اليوم الوارد في الآية، منها أنه يوم القيامة. وذكر الطبري(42) في تفسيره عن ابن عباس: (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) قال: من الأيام – الستة - التي خلق الله فيها السماوات والأرض)(43).

ويرد ذكر هذه الأيام أيضاً في قول الله تعالى في آية أخرى: (يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)(44). فأيام الخلق الواردة في نصوص التوراة تحدّدها أسفارها بالمعنى الحرفي لأيامنا هذه، والأمر يختلف عما يرد في القرآن، فللمفسرين وجه قوي يشير إلى أنها أيام على غير أيامنا المعتادة، وذلك قبل خلق الشمس التي تشرق من هنا وتغيب هناك. ومن خلال عرض القرآن للأيام يتضح أنها دورات أو نوبات وفترات زمنية طويلة، وتعزز هذا الوجه آيات أخرى في القرآن تعطي إطلاق آخر لمسمى الأيام يختلف عن أيامنا المعتادة.

---

(40)سفر التكوين {1-5}.

(41) سورة الحج. الآية:47.

(42) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطبري، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب، صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير، مولده سنة أربع وعشرين ومئتين، كان إماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك، سير أعلام النبلاء. الذهبي . تحقيق شعيب الأرنؤوط. مؤسسة الرسالة. 298/27. ووفيات الأعيان. ابن خلكان، شمس الدين بن أحمد. (1971م) دار صادر. بيروت. ط1. 191/4.

(43) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل آي القرآن، 658/18، والبغوي، معالم التنزيل في تفسير القران، 391/5، والزيادة بين العارضتين للبغوي.

(44) سورة السجدة. الآية:5.

ومن وجوه التناقض في ترتيب خلق الشمس والنبات ما يذكره سفر التكوين:

(وقال الله لتجتمع المياه تحت السماء إلى مكان واحد، ولتظهر اليابسة. وكان كذلك. ودعا الله اليابسة أرضاً ومجتمع المياه دعاه بحاراً. ورأى الله ذلك أنه حسن)(45) ويتابع السفر: (وقال الله لتنبت الأرض عشباً وبقلاً يبذر بذراً وشجراً ذا ثمر يعمل ثمراً كجنسه، بذره فيه على الأرض. وكان كذلك. فأخرجت الأرض عشباً وبقلاً يبذر بذراً كجنسهٍ، بذره فيه على الأرض، ورأى الله ذلك أنه حسن ... وكان مساء وكان صباح يوماً ثالثاً)(46).

وذلك مع نص سفر التكوين الذي يعقب هذه الفقرات من النص والتي تذكر: {وقال الله لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لايات وأوقات وأيام وسنين. وتكون أنواراً في جلد السماء لتنير على الأرض. وكان كذلك فعمل الله النورين العظيمين: النور الأكبر لحكم النهار، والنور الأصغر لحكم الليل، والنجوم. وجعلها الله في جلد السماء لتنير على الأرض، ولتحكم على النهار والليل، ولتفصل بين النور والظلمة. ورأى الله ذلك أنه حسن. وكان مساء وكان صباح يوماً رابعاً}(47).

فمعلوم بداهة أن تكوُّن الحب ونمو النبات يحتاج للشمس في وجوده لضرورة عملية التمثيل الضوئي، وكذلك تعاقب الليل والنهار لا يتصور وجوده من غير وجود الشمس، فهذه النصوص فيها تضارب واضح مع الحقائق العلمية الثابتة.

ويشير بعض الباحثين إلى ورود التضارب الصريح في ترتيب مظاهر الخلق والحياة الواردة في نصوص سفر التكوين مع العلم فيقول:

(كون الأرض في عصر ما من تاريخها مغمورة بالماء، ثم بعد ذلك ظهرت اليابسة فهو أمر مقبول تماماً، لكن الذي لا يتفق علمياً مع سنن الحياة ومعطيات العلم هو ترتيب وجود الشمس بعد ظهور النبات على الأرض، وكذلك تعاقب الليل والنهار، لأن سفر التكوين يحدد خلق الشمس في اليوم الرابع)(48).

ولا تكفي مساحة البحث في تتبع التناقضات والأخطاء العلمية التي ترد بكثرة في التوراة والإنجيل في مسائل فلكية وكونية وحسابية، ففي الأناجيل نجد تضارباً واضحاً في عدد سلسلة نسب المسيح(49)، حيث تنسبه الأناجيل إلى آباء تختلف أعدادهم وأسماؤهم فتقل في بعضها وتكثر في البعض الآخر، وزيادة على ذلك فإن المناقضات

---

(45) سفر التكوين {1/ 9-11}.

(46) سفر التكوين {1/ 9-13}.

(47) سفر التكوين {1/ 15-19}.

(48) موريس بوكاي،التوراة والانجيل والقران والعلم،ص46.

(49) معلوم أن المسيح عليه السلام كما هو في المصادر الإسلامية وُلد من غير أب معجزة له وكرامة لأمه، يقول الله تعالى عن مريم بعد أن بشرتها الملائكة بقدوم مولود بإرادة الله ومشيئته: (قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ) آل عمران: 47.

مجلة جامعة الزيتونة الدولية –العدد الثاني والثلاثون
Issue N.32- Vol.1 / ISSN:2958-8537

الحسابية في الأناجيل تبدو من أول وهلة في عقيدة الثالوث التي لا تستقيم عقلاً ولا منطقاً حيث تعدّد الأناجيل الأقانيم الثلاثة (الأب، والابن، والروح القدس) ومن ثم تجعلها إلهاً واحداً، فهم ثلاثة في واحد، وهذا خطأ حسابي لا يقره العلم.

وكذلك في العهد القديم توجد كثير من التقديرات والمعطيات الخاطئة التي تحدّد عمر الإنسان منذ وجوده والأجيال البشرية إلى زمان كتبة التوراة بسبعة وثلاثين قرناً قبل المسيح عليه السلام، أي ثلاثة ألف وسبعمائة عام فقط قبل ميلاد المسيح، ولاشك أن ذلك يتناقض صراحة مع العلم التاريخي الآثاري لوجود الإنسان، إذ أن وجوده أقدم من ذلك بأضعاف أضعاف هذا التقدير، يقول بعض النقّاد في ملاحظاتهم على هذه التقديرات: (إننا نجهل مثلاً التاريخ التقريبي لظهور الإنسان على الأرض، ولكننا اكتشفنا أعمالاً إنسانية ترجع دونما ريب إلى عشرة آلاف سنة قبل الميلاد)(50).

أسباب ودوافع فكرة تعارض العلم والدين:

باستقراء الواقع التاريخي والعلمي لهذه القضية تظهر جملة من الأسباب التاريخية والفكرية كان لها أثرها في نشوء وشيوع هذه النظرية نجملها في الآتي:

1. الموقف الكنسي تجاه العلم والعلماء، حيث كانت الكنيسة تعتقد أن العلم المطلوب هو ما تضمنه الكتاب المقدس فحسب.
2. شيوع انتشار الكثير من القصص والتعاليم التي تتعارض مع العقل السليم والمبادئ الدينية والفطرة السليمة، كعقيدة التثليث، وعقيدة الفداء، ونسبة المنكرات والقبائح إلى الأنبياء، وهذه وإن كانت تتعلق بتعارضها مع الدين والعقل، إلا أن لها تأثيراً في قضية التعارض أيضاً بين العلم والدين.
3. سرعة انتشار النظريات المادية والمذاهب والتيارات المناوئة للدين، والتي وجدت ضالتها في كثير من تعاليم الكتاب المقدس وقصصه التي تخالف الفطرة والعقل، فانقلبت على الدين كلّه ونادت بإقامة العلم مكانه، وصورته بأنه عدو للعلم والعقل والعلاقة بينهما علاقة تضاد وتنافر.

ثانياً: مسألة التعارض بين الدين والعقل:

معلوم أن الأدلة الدينية والعقلية الظنية والقطعية إما أن يكون كلا الدليلان العقلي والنقلي فيهما قطعيان فلا يمكن أن يحصل بينهما تعارض وإنما التعارض ينشأ من الوهم، وإما أن يكونا ظنيين فيصار إلى ترجيح أحدهما، فأيهما ترجّح كان هو المقدم، وإن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فإنه يجب تقديمه باتفاق العقلاء سواء كان هو السمعي أو العقلي(51).

---

(50)موريس بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص20.

(51)انظر ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم (1391هـ). درء تعارض العقل والنقل، دار الكنوز الأدبية، الرياض، 46/1.

وتعتبر قضية التعارض بين العقل والدين قضية قديمة في التاريخ الإسلامي، واشتهرت بها فرق فلسفية خرجت من منهج أهل السنة والجماعة كفرقة المعتزلة التي تنتهج منهجاً عقلياً في تقرير العقيدة ومسائلها، فالعقل عندهم يحتكم إلى أحكامه ويحظى بقدسية وتقديم فوق كثير من النصوص الظنية وأحياناً القطعية التي يرون ضرورة تأويلها على غير ظاهرها.

وقد كتبت مؤلفات ووضعت مصنفات من أجل تجلية هذه القضية وممن قتلها بحثاً تقي الدين ابن تيمية في مصنفه " درء تعارض العقل والنقل".

المبحث الرابع

تأثير فكرة الصراع بين العلم والدين على العقل والفكر المعاصر

اتسم موقف الحركة العلمية الحديثة إزاء وبعد انفصالها ومعارضتها للمؤسسة الدينية الكنسية بالعداء الشديد والرفض لكل ما هو ديني، حتى غدا تصورهم للدين وتعاليمه في مقابل العلم تماماً، فيبدو في اعتقادهم أن العلم منذ بدايته نشأ مستقلاً ومجانباً لكل ما هو ديني.

وبالنظر إلى واقعنا العربي والإسلامي ومع انتشار الحركة العلمية الغربية المصحوبة بالأفكار التغريبية واتصال الجموع العربية والإسلامية بالحضارة الغربية سواء بغرض الدراسة أو العمل أو عبر الاتصال الثقافي محلياً أو إقليمياً أو دولياً إلى غير ذلك، فقد ترك هذا الاحتكاك والاستجداء الثقافي للحضارة الغربية آثاره الخطيرة التي انتظمت مجالات عديدة شملت ثوابت ومتغيرات الدين الإسلامي.

وتبدو صور هذه الآثار في اعتقاد وتبني نظريات علمية مخالفة للدين الإسلامي أو فلسفات وأيديولوجيات مبنية على تلك النظريات العلمية، أومناهج علمية وحسية تجريبية تم توسيعها ومن ثم تطبيقها على غير مجالها كتطبيقها على نظم ومجالات الدين التي لا تناسب تلك المناهج الحسية كمجال الغيب والتشريع.

وقد تحمس العديد من المفكرين العرب المشهورين ونادوا بضرورة إخضاع مسائل التوحيد للدراسات الإنسانية لأنها في نظرهم أصبحت موضوعاً لعلم النفس والاجتماع لتحديد نشأة الأفكار الدينية في ظروف نفسية واجتماعية معينة.

بل يذهب بعضهم مذهباً يرى فيه وجوب تطبيق العلوم الاجتماعية أو العلوم الإنسانية على التراث الإسلامي مثلما طُبّق على التراث المسيحي في أوروبا منذ زمن طويل[52].

ومن تداعيات هذا التغلغل الفكري الغربي في الأوساط العربية نقل النظريات العلمية الغربية المعارضة للدين الإسلامي إلى العالم الإسلامي كنظرية التطور الداروينية حول وجود الحياة وخلق الإنسان وعرض نظريات في علم الفلك والفيزياء الحديثة حول وجود الكون بطريقة العرض المادي العلماني لها، ونشر نظريات علم الاجتماع الديني

التي غلب عليها عند مؤسسيها في الغرب اعتبار الدين ظاهرة بشرية اجتماعية. ونشر نظريات في علم النفس مثل نظريات فرويد وغيره التي تصوّر التديّن والعقائد التي فطر عليها البشر بأنه مرض نفسي نابع من اللاشعور نتيجة غرائز جنسية بما في ذلك الإيمان بوجود الله.

ومن هذه الآثار الخطيرة تقرير دعوى التعارض بين الدين والعلم التي اشتهرت في الغرب وتم نقلها إلى العالم الإسلامي، ونشرها بصور وأشكال مختلفة والتركيز عليها في أغلب الخطابات الفكرية التغريبية المعاصرة، ثم استغلال فكرة التعارض في رمي الدين بشتى صنوف التهم بحجة عدم علميته وعقلانيته، ثم رفع دعوى ضرورة تأويله أو نبذه.

ومن الآثار الخطيرة كذلك في واقعنا العربي ظهور دعوات واتجاهات عربية جديدة تتبنى تقديم الرؤية العلمية مكان الرؤية الدينية، أو محاولة التوفيق بينهما كيفما اتفق، وذلك دون تفريق بين الصحيح منها والفاسد، وتتفاوت هذه الآثار بين آثار عقدية وعلمية وعملية.

ولعل كثير من الكتاب العرب ومفكريهم قد تأثروا ببعض النظريات المطروحة في الفكر الغربي، وعلى سبيل المثال لا الحصر صاحب كتاب آذان الأنعام الذي حاول إحداث مواءمة بين نظرية النشوء والتطور وبعض آيات القران الكريم التي تتناول هذه القضية، وذلك من خلال بحثه عن بدء الخلق وأصله، وانتهج منهج التأويل في تفسير هذه الآيات، بصرف المعنى الظاهر للآيات ووضع تفسيرات حديثة لم تعهدها كتب التفسير المعروفة، وقد وجهت كثير من الدراسات انتقادات وردود لهذا المؤلف منها ما كتبه قيس محمود حامد، وحيدر عيدروس في مناقشتهم ونقدهم لهذا المنتوج الفكري.

بل إن التأثير السلبي للحضارة الغربية على المنطقة العربية والإسلامية، والذي يمتد أثره إلى شتى المجالات التعليمية والسياسية والاقتصادية، تمخض عنه خلق جماعات ودوائر انتماء تتبنى رؤى وأفكار غربية غريبة عن واقع العالم الإسلامي والمنطقة العربية، وتتفاوت هذه الرؤى والأفكار في مسألة العلاقة بين العلم والدين في تبني بعضها للحل الجذري بحسب وجهة نظر مفكريها وهو إبعاد الدين أو هدمه وإقامة العلم مكانه، فالدين عند هؤلاء مناقض للعلم تماماً، ووجوده أو محاولة الجمع بينه وبين العلم أو التوفيق بينهما يمثل تعطيلاً للحقائق العلمية، فالعلم وحده هو مفتاح الحقائق الطبيعية والكونية وفهم أسرار الكون ومبدأ الوجود ونهايته!.

ومن رواد الفكر التقدمي الحديث شبلي شميل وهو طبيب يُعد من المفكرين العرب الذين ساهموا في إرساء دعائم الاتجاه العلمي في الفكر العربي الحديث والمعاصر، وأبرز من نقلوا الفكر المادي الحديث إلى اللغة العربية، وممن تزعموا فكرة التطور والنشوء والارتقاء في الثقافة العربية.

ومن أبرز أفكاره وآرائه أن العلوم الطبيعية هي العلوم الحقيقية ويقتضي أن تكون أم العلوم البشرية كافة، وأن تُقدّم على كل شيء، وينبغي نشرها وتعميمها على نطاق واسع عن طريق التعليم لتحل محل المناهج الدراسية العقيمة التي تسيرها المقولات الدينية!.

ومن دعاة الحداثة العقلانيين الذين يقفون موقف الفصل بين العلم والدين وضرورة التفريق بينهما فرح أنطون، الذي تنطلق فلسفته من أن تحرير العقول من التعصب الديني وضيق الأفق العقلي يمثل المدخل إلى كيفية تحقيق التقدم في الشرق، وقد اتخذ أنطون موقفاً رأى فيه التوسط – أي موقفاً وسطاً في العلاقة بين العلم والدين–، فموقفه بذلك لم يكن جذرياً في الدعوة إلى هدم الدين وإحلال العلم محله، وإنما يرى أن بالإمكان حل هذا النزاع بينهما، وذلك بتحديد الحقل الخاص بكل منهما، فالعلم يجب أن يوضع في دائرة العقل؛ لأن قواعده مبنية على المشاهدة والتجربة والامتحان. وأما الدين فيجب أن يوضع في دائرة القلب؛ لأن قواعده مبنية على التسليم بما ورد في الكتب من غير فحص أصولها؛ وأن برهان العلم مخالف لبرهان القلب، فلا ينطبق هذا على ذاك، ولا سبيل لإثبات إحداهما من طريق الآخر لأن وظيفة الواحد تختلف عن وظيفة الآخر؛ ولذلك يجب أن يعيشا في هذه الأرض جنباً إلى جنب بسلام وأمان دون أن يسطو أحدهما على الآخر.

وكما رأينا من مذهب أنطون إنكار تبعية كل من الدين والعلم للآخر، وفلسفة شميل التي تحاول إحلال العلم محل الدين في تفسير الحقائق الكونية وفهمها، فإن هذه الرؤى والأفكار بالطبع تعبّر عن وجهة نظر واضعيها وليست تعبيراً عن الواقع الديني والعلمي، بل تخالف الحقيقة الدينية الإسلامية التي تعلي من شأن العلم وتدعو إليه وتجعل أسس الدين وتعاليمه وشرائعه قائمة على العلم، فالعلم في الدين يسبق العمل، ولا يقبل من العمل إلا ما كان قائماً على العلم والبرهان الديني، وارتباط الدين بالواقع المادي والطبيعي كارتباط العضو بالجسد، فالشريعة الإسلامية تشريعها واقعياً ينبني على النظر إلى الواقع الطبيعي للأشياء، فلا يكلّف الإنسان إلا ما يطيق والدين لا ينظر إلى الطبيعة على أنها غيب، بل يحدّد تشريعاته على نواميسها وفق ما يتناسب معها، فلا ينظر التشريع الإسلامي إلى الإنسان على أنه ملائكياً يعرج في الفضاء أو يسير في الماء، ولذلك أرسل الله رسله من جنس البشر يأكلون ويشربون ويفعلون كما يفعل البشر، ولو شاء الله لأنزل ملائكة، فما أعظم واقعية الدين!.

ومن هنا فمن يتأمل النصوص الدينية في القرآن والسنة يعلم تمام العلم أن العلم والدين صنوان، وأن العلم الطبيعي يُعد في نظر الدين من البراهين التي تعزز الحقائق الدينية والوجودية الدالة على عظمة الخالق الذي خلق الطبيعة والكون وسخرهما وأرشد إليهما بآياته الشرعية والكونية، ولو أدرك دعاة فصل الدين عن العلم عظم الأدلة الكونية والطبيعية التي يحفل بها كتاب الله (القرآن) وكثرتها لعلموا أن الدين والعلم ليس بينهما فصل ولا برزخ؛ فالدين من خلال مصدريه القرآن والسنة يحث ويحض على تعلّم العلم الطبيعي وإجراء التجارب والاكتشافات العلمية والبحوث، ويرشد إليهما عن طريق التفكّر والتأمل والتعقّل والكشف التجريبي، يقول الله تعالى: (وفي الأرض آيات للموقنين* وفي أنفسكم أفلا تبصرون)، فهذه دعوة إلى التبصّر في حقائق الأبدان (المادة)، وفي ما خلق الله في الأرض جميعاً. وهذا التبصر يستلزم استخدام أدوات البحث العلمي في الوصول إلى الحقائق العلمية والطبيعية.

وقد ورد في السنة الصحيحة عن سعيد بن زيد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " الكمأةُ من المن وماؤها شفاء للعين"(53). وقد دلَّ البحث التجريبي اليوم أن ماء الكمأة يمنع حدوث التليف في مرض التراكوما (Granular conjunctivitis) الذي يؤدي إلى زيادة غير طبيعية بالأوعية الدموية بالقرنية(54). فهذا النص النبوي يدحض كل دعوى تزعم مناقضة الدين للعلم، وتدل دلالة واضحة على الصلة الوثيقة والقوية بين الدين الإسلامي والعلم.

وقد قال ابن القيم في الطب النبوي: يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه عاد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بمكة، فقال: ادعوا لي طبيباً، فدعي الحارث بن كلدة، فنظر إليه فقال: ليس عليه بأس، فاتخذوا له فريقة، وهي الحلبة مع تمر عجوة رطب يطبخان، فيحساهما، ففعل ذلك، فبرئ(55). فالشاهد أن النبي صلى الله عليه وسلم هو نفسه من دعا بالطبيب، تنزلاً إلى حقائق العلم الطبيعي وتأكيداً على أهميتها وضرورتها. فلا مجال لمدعٍ أن يدّعي أن العلم بأدوية الأمراض البدنية محصورٌ في ما جاء في القرآن والسنة، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتداوى بأدوية عصره، ولم يخالف في ذلك إلا في مسائل قليلة، لو تتبعها الباحث المنصف لوجد أنها لا تخلو إما من محظور شرعي أو ضرر غير مدرك للعامة.

خاتمة:

وختاماً فقد حاول الباحث تقديم عرض موجز عن تاريخ ومنشأ قضية تعارض العلم والدين، وتحليل المفاهيم وتجليتها من منظور علمي وديني تحاشياً للخلط بين الدين الإسلامي وغيره من الأديان، وتوضيح موقف الدين الإسلامي تجاه هذه القضية، والآثار المترتبة عليها، وقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أهمها:

1- إطلاق مفهوم الدين من غير تحديد، والجنوح إلى التعميم وخطأ عدم التفريق بين الدين الصحيح والفاسد أفرز كثيراً من الشبهات والمفاهيم العصرية المثارة حول الدين الإسلامي، ومنها تعميم شبهة التعارض، وذلك لتصورهم أن الدين جميعه سواء، الأمر الذي حملهم على هذا الحكم، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره.

2- الدين الإسلامي مبني على العلم الضروري (الغائي) في المقام الأول، فقد بعث الله رسله معلمين وأنزل معهم الكتاب، إضافة إلى استمرار دعوته وتحفيزه وإثارته للعقول ولفته لانتباه الإنسان إلى اتخاذ الأسباب والوسائل في تحصيل العلم التجريبي الطبيعي (الكفائي)، والذي جعله الدين من البراهين والآيات الكونية التي أقامها كأدلة حسية، واعتبرها من مظاهر القدرة الإلهية.

---

(53) البخاري. كتاب تفسير القرآن. سورة البقرة، باب (المن والسلوى). ح/ 4639. ومسلم. كتاب الأشربة. باب فضل الكمأة ومداواة العين بها. ح/ 2049.

(54) سامي عامري (1442هـ – 2021م). العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل. رواسخ. ط4. ص64.

(55) ابن القيم، (1410هـ- 1990). الطب النبوي. تحقيق السيد الجميلي. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط1 ص20.

3- الوضع والظرف الديني الذي كان سائداً في أوروبا في العصور الوسطى ومن ذلك محاربة الكنيسة ورجال الدين في الغرب للعلم، وظهور الحركات المادية والعلمانية، كل هذه الظروف طبعت في أذهان معظم المفكرين والعلماء والعامة في الغرب، والبعض في العالم الإسلامي اعتقاد التضاد والصراع بين الدين عموماً والعلم، واستمرت حساسية هذا التصور فتأثرت به عقول فئام من الناس في عصرنا الحاضر، وفي عالمنا الإسلامي.

4- الدين السماوي هو مكون من مكونات الإنسان في حياته، فلا يمكن للمعارف العلمية ولا الفلسفية مهما عظمت أن تحل محله.

5- أقام الإسلام مدارس فقهية وفكرية تعتبر العقل أبرز وسيلة للقياس والاستنباط وفهم النصوص وتنزيلها على الوقائع أو ما يسمى بـ(الاجتهاد)، كل ذلك بإعمال العقل ونشاطه، ومن ذلك ما أفرزته عقول العلماء المسلمين من نتاج علمي في ضوء الشريعة وشمولها لمختلف مناحي الحياة الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، إلى غيرذلك مما يعرف بـ (الفكر الإسلامي)، كله قائم على عمل العقل. فلا تعارض إذن بين صحيح المنقول وصريح المعقول.

6- الحقيقة العلمية صحيحة ومتطابقة وثابتة لا تتغير سواء في الدين أو العلم، ويظل التعارض والتناقض والخطأ مرهوناً ومتحققاً وقوعه بأمور خارجة عنها تتمثل في عدم صحة النص أو ضعف آلية النص (الفهم) وتنزيله عليها، أو بطلان النظرية أو التجربة العلمية.

7- لا حقيقة لوجود تعارض وتضاد- كلي أو جزئي - بين العلم الصحيح والدين الصحيح، بل أظهرت الدراسة نتيجة عكسية وهي أن بينهما ائتلاف لا اختلاف، ومنشأ التعارض هو بين الدين الذي طرأ عليه التغيير والتحريف البشري، والعلم.

8- يتحدّد مجال العلم الطبيعي بدراسة العالم المحسوس الذي يخضع لتجارب الإنسان ومشاهداته، أما الدين فمجاله أوسع فيدخل فيه ما لايخضع لتجاربنا ومشاهداتنا كعالم الغيب.

9- تؤكد النصوص الدينية في القرآن الكريم والسنة النبوية على متانة الصلة بين الدين ونتائج العلم الطبيعي الثابتة بالبراهين الصحيحة، وأنهما لا ينفصلان عن بعضهما.

10- وجود كم من التناقضات في مبدأ الخلق والكون ومنشئه بين التوراة وثوابت العلم الطبيعي، وانتفاء وجود أي تناقض بين القرآن والحقائق العلمية الثابتة حول هذه القضايا .

11- ليست كل النظريات العلمية مسلّم بصحتها، فهنالك الكثير من النظريات التي تصادم الحقائق العلمية، كنظرية النشوء والتطور الداروينية، فإنها تناقض الحقائق الدينية الإسلامية الدالة على مبدأ الخلق البشري، وتناقض كذلك البراهين العقلية الثابتة.

المراجع:

ابن القيم (1410هـــ- 1990)، الطب النبوي. تحقيق السيد الجميلي. دار الكتاب العربي. بيروت. لبنان. ط1.

ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم (1391هـ) درء تعارض العقل والنقل، دار الكنوز الأدبية، الرياض. ط1.

ابن خلكان، شمس الدين بن أحمد (1971م) وفيات الأعيان. دار صادر. بيروت. ط1.

ابن فارس (1979م). مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. دار الفكر، بيروت.

ابن منظور. محمد بن مكرم. لسان العرب. دار صادر. بيروت. لبنان.

أحمد مختار عمر(2008م). معجم اللغة العربية المعاصرة. عالم الكتب. القاهرة. ط1.

إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، الألباني، محمد ناصر الدين (1405هـــ - 1985م). المكتب الإسلامي. بيروت. ط2.

الأسمري، حسن بن محمد (1433هـــ - 2012م)، النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي في التعامل معها. مركز التأصيل للدراسات والبحوث. جدة. المملكة العربية السعودية. ط1.

البخاري، محمد بن إسماعيل (1422هـ)، الجامع الصحيح. دار طوق النجاة. ط1.

برتراند رسل، الدين والعلم. ترجمة رمسيس عوض. دار الهلال. ط1.

التهانوي، محمد علي (1996م). كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. مكتبة لبنان ناشرون. بيروت.

الجرجاني، علي بن محمد (1405هـ). التعريفات. دار الكتاب العربي. بيروت. ط1.

جميل صليبا (1982)، القاموس الفلسفي. دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان.

الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء. مؤسسة الرسالة. تحقيق شعيب الأرنؤوط.

الرازي، محمد بن أبي بكر (1995م)، مختار الصحاح. مكتبة لبنان ناشرون – بيروت.

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. مفردات ألفاظ القرآن. دار القلم. دمشق.

سامي عامري (1442هـــ - 2021م). العلم وحقائقه بين سلامة القرآن الكريم وأخطاء التوراة والإنجيل. دار رواسخ للنشر. ط4.

سنن أبي داؤود، سليمان بن الأشعث. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

السيوطي، جلال الدين.(2004م)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم. مكتبة الآداب. القاهرة. مصر. ط1.

المناوي، محمد بن عبد الرؤوف (1410هـــ). التوقيف على مهمات التعاريف. دار الفكر المعاصر. بيروت. دمشق. ط1.

الهاشمي، طه (1963م) تاريخ الأديان وفلسفتها. دار مكتبة الحياة. بيروت. لبنان. ط1.

عبد الآخر، أحمد أبو الوفا (1997م). تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السـنة النبوية. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1.

دراز، محمد عبد الله، الدين (بحوث ممهدة لدراسة الأديان). دار القلم. الكويت.

فرانسيس داروين (2017م). تشارليز داروين: حياته وخطاباته. مؤسسة هنداوي.المملكة المتحدة. ترجمة الزهراء سامي، ودينا عذاب.

قاموس الكتاب المقدس، بطرس عبدالملك وآخرون (1995م)، دار الثقافة، القاهرة.

محمد رواس (1988م)، معجم لغة الفقهاء. دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2.

مصطفى عزيزي (2019) العلم والدين. مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية. كربلاء. العراق. ط1.

ناصر بن عبد الكريم العقل. شرح باب توحيد الربوبية من فتاوى ابن تيمية، ج16، http://www.islamweb.net.

The story of Maurice Bucaille's inspiring conversion to Islam, Mon, 03/18/2013, https://Islam.ru/en